

توجيه الفروق النحوية والصرفية بين رواية قالون وحفص في سورة

يس: دراسة دلالية

Orientation of Grammatical and Morphological Differences between Qaloon and Hafs Narration in Surat Yassin: A Semantic Study

د. منصورى توفيق

Dr. Mansouri Toufik

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة - الجزائر

University of Ahmed Ben Bella Oran1-Algeria

Mansouri31dz2004@yahoo.fr

مخبر مخطوطات شمال إفريقيا وهران الجزائر

Translation of Historical Documents Laboratory



0000-0002-6443-2035

تاريخ الاستلام: 2020/03/19 تاريخ القبول: 2020/07/07 تاريخ النشر: 2020/08/31

ملخص: تناول البحث موضوعا هاما في علم القراءات القرآنية، وما نجم عنه من فروق نحوية وصرفية بين روايتي الإمام قالون عن نافع المدني وحفص عن عاصم الكوفي في سورة يس كأتمودج، وأوجه الاختلاف بين الروايتين الذي قد يطلأ أثره دلالة اللفظ ومعناه، أو الاقتصار على نواح صوتية أدائية لا أثر لها على معنى الكلمة، مع تحديد توجيه هذه الفروق وبيان مدى تنوع معاني الآيات القرآنية دلاليا.

الكلمات المفتاحية: توجيه، حفص، دلالة، صرف، قالون، نحو.

Abstract: The research dealt with an Important topic in the science of Qur'anic readings and the resulting differences in terms of syntax and morphology between the two narrations of the Imam Qālun through Nafi' Al-madani and Hafs through 'asim Al-kufi in surat Yassin as a model with identifying the orientation of these differences and showing the extent of diversity.

Key words: orientation, Hafs, Semantics, Conjugation, Grammar, Qālun.

المؤلف المرسل: منصورى توفيق

1. مقدمة

إنّ القرآن الكريم شرف للغة العربية، ومنجم لعلومها، ومما تميّز به عن سائر الكتب السماوية علم القراءات حيث غدا من أشرف الفنون وأفضلها. والقراءات القرآنية ومادتها بشتى صنوفها وطوائفها وفتاتها النحوية الإعرابية والصرفية خصوصا واللغوية عموما، تمثل ذخيرة ومادة لغوية ثرية وغزيرة، فهي ذات أبعاد دلالية وخصائص وأسرار وطاقات لغوية نادرة ونادرة وغزيرة وبديعة عجيبة فريدة في بابها. يعد علم توجيه القراءات القرآنية من الناحية النحوية والصرفية من أجل العلوم وأشرفها، لأنّ شرف كل علم بشرف ما ينسب إليه ويدور في فلكه. إنّ لعلم القراءات والتوجيه صلة وثيقة بعلم التفسير، فكل منهما يعد وسيلة لخدمة كتاب الله تعالى، والتوجيه النحوي والصرفي هو أحد هذه الوسائل التي استوقفت الكثير من المفسرين.

وعندما تختلف القراءات تختلف دلالاتها، فكل قراءة تعتبر وكأنّها آية أخرى بسبب المعنى الخاص الذي تؤدیه وحدها، وغيرها لا يؤدیه، ويعد ذلك سمة من سمات الإعجاز للقرآن الكريم، فهو يكتف الكثير من المعاني بالقليل من الألفاظ والمباني.

ومما اختلفت فيه القراءات رواية قالون عن نافع ورواية حفص عن عاصم، وأوجه الاختلاف بين الروایتين منها ما يؤثر في دلالة اللفظ ومعناه، ومنها ما يقتصر تأثيره على نواح صوتية أدائية كالإمالة والتقليل وغيرها مما لا يمس معنى الكلمة.

والباحث يقصد إلى دراسة أوجه القراءات التي آثرت الدلالة، فيوضح كيف أثر تعدد القراءات الدلالي. فمهي الفروق النحوية والصرفية بين الروایتين؟ ما تأثير اختلافها دلاليا؟ كيف وجه العلماء كل رواية؟

وقد عوّّل الباحث في توجيهها على المضمون الدلالي، أي راعى البعد الدلالي لها مع الوقوف عند حدود قالب اللفظي، أو التوجيه المعتاد، أي توقف عند حد توجيه اللغويين والنحاة وتقعيدهم، وقد يتجاوز ذلك إلى استشفاف المضامين والمقاصد الدلالية واستشعارها. أمّا اختيار إجراء المقارنة النحوية والصرفية بين هاتين الروایتين، فرده إلى عدة أسباب أجملها فيما يلي:

- رواية قالون وحفص من القراءات المتواترة الصحيحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن مدرستين مختلفتين، فقالون من مدرسة الحجاز وحفص من مدرسة الكوفة.
- التقارب الكبير في الاختيار بينهما في الأحكام العامة، كأحكام الرءاءات والهمزات وغيرها.

- قراءة قالون تأتي في الترتيب الثالث شهرة بعد قراءة حفص التي عمت أصقاع العالم الإسلامي بعد قراءة ورش التي تأتي في الترتيب الثاني.
- إبراز الخلاف الذي يرجع إلى الإعراب والصرف مع مراعاة التحليل الدلالي.
- أما الدراسات السابقة فقد وقف الباحث بعد الاستقصاء على:
- مؤلف بعنوان : اختلاف القراءة بين قالون وحفص وتوجيهها لسعيد علي الشريف، حيث عمد مؤلفه إلى استقراء جميع الخلافات بين الراويين في جميع القرآن وتوجيهها، فلم يتوسع في ذكر المنهج وعللها إلا بقدر التوضيح والحاجة الملحة لذلك⁽¹⁾، مع قصور واضح في الجانب الدلالي لها.
- مقال موسوم ب: سورة البقرة بين قراءتي حفص وقالون دراسة لغوية للدكتور علي حسن مزبان من قسم اللغة العربية، كلية المعلمين جامعة السابع من أبريل.

تناول صاحبه بعض النماذج الفرشية بين الراويين، وبين الأوجه الإعرابية لتراكيبها، غير أنه أغفل الجانب الدلالي لها. واخترت حدا لدراسة هذه الفروق سورة يس، واشتملت الخطة على مقدمة ومبحثين: أحدهما في الفروق النحوية، وثانيهما في الفروق الصرفية، ثم خاتمة ضمنها أهم النتائج المتوصل إليها.

1. الفروق النحوية

وهي الفروق القائمة على أساس اختلاف الحركة الإعرابية وما ينتج عنها من تعليل أو تغيير في المعنى، وقد تضمنت السورة ثلاثة فروق وهي:

1.1 الفرق الأول: في قوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [يس: 05]؛ حيث قرأ قالون عن نافع (تنزِيلُ) بالرفع، وقرأها حفص عن عاصم (تنزِيلَ) بالنصب⁽²⁾.
وجهت قراءة الرفع من وجهين:

1 سعيد علي الشريف، اختلاف القراءة بين قالون وحفص وتوجيهها، ص3.

2 ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ت: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة مصر، ط: 03، ص539، الداني، التيسير في القراءات السبع، ت: أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 01، 1416هـ-1996م، ص149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 02، 1423هـ-2002م، ج2 ص264، البنا الدمياطي، إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ت: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ-2001م، ص465.

الأول : أنه خبر مبتدأ محذوف⁽¹⁾، والمصدر (تنزِيلُ) بمعنى المفعول، أي : هو تنزيل بمعنى : منزل العزيز.⁽²⁾

قال الزجاج : " تقرأ (تنزِيل) بالرفع والنصب، فن نصب فعلى المصدر على معنى نَزَلَ اللهُ ذلك تنزيلاً، ومن رفع فعلى معنى : الذي أنزل إليك، تنزيل العزيز الرحيم "⁽³⁾.

ورأى الفراء أنه مرفوع على الاستئناف، فقال : " ويكون رفعه على الاستئناف، كقولك : ذلك تنزيل العزيز الرحيم، كما قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف: 35]، أي : ذلك بلاغ "⁽⁴⁾.

وجوز ابن أبي مرزوق أن يكون مبتدأ وخبره محذوف، والتقدير: تنزيل العزيز الرحيم هذا⁽⁵⁾. وهذا من مواقع حذف المسند إليه الذي سماه السكاكي الحذف الجاري على متابعة الاستعمال في أمثاله، وذلك أنهم إذا أجروا حديثاً على شيء ثم أخبروا عنه التزموا حذف ضميره الذي هو مسند إليه إشارة إلى التنويه به كأنه لا يخفى.⁽⁶⁾

3 الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ت: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون، دمشق سوريا، ط: 1، 1413هـ-1993م، ج6 ص36، القيسي، مشكل إعراب القرآن، ت: ياسين محمد النواس، دار اليمامة، دمشق سوريا، ط: 3، 1423هـ-2002م، ص556، ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، ت: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، ص434، ابن عجيبة، الدرر النائرة في توجيه القراءات المتواترة، ت: عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 1، 1434هـ-2013م، ص325.

4 العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت لبنان، 1421هـ-2001م، ج2 ص338.

5 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ت: د. عبد الجليل عبده شليبي، دار الحديث القاهرة مصر، 1424هـ-2004م، ج4 ص209.

6 الفراء، معاني القرآن، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 1، 1423هـ-2002م، ج3 ص257.

7 ابن أبي مرزوق، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، ت: د. عمر حمدان الكبيسي، دار التوعية الإسلامية، القاهرة مصر، ط: 1، 1414هـ-1993م، ج3 ص1070.

8 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت لبنان، ط: 1، 1420هـ-2000م، ج22 ص196.

الثاني : أنه خبر (يس) إن كان المراد بها السورة، قال الشهاب : " وقد تجوز فيه أن يكون خبر (يس) إن كان اسماً للسورة أو مؤولاً بها، والجملة القسمية معترضة، والقسم لتأكيد المقسم عليه والمقسم به اهتماماً، فلا يقال إن الكفار ينكرون القرآن فكيف يقسم به لإلزامهم" (1)، وهو ما نقله عنه الألوسي في تفسيره (2). وعلى قراءة الرفع فالمعنى: إن القرآن وإن ذلك القرآن هو تنزيل العزيز الرحيم، وإن ما تنزل عليك وما يلقي إليك وما يوحى إليك وما أملي عليك هو تنزيل العزيز الحميد. وإن ما نزلوه وما نزلناه، وما تكرمنا به عليك وما نمليه وما أنزلناه هو تنزيل العزيز الحميد (3). وتحتمل قراءة النصب تخريجين هما:

الأول : أن يكون منصوباً على المصدر، وهو توجيه الفارسي (4) وابن أبي مريم (5) وغيرهما من الموجهين للقراءات (6).

فقد علل ابن زنجلة المصدرية فقال : " فمن نصب فعلى المصدر على معنى : نزل الله ذلك تنزيلاً مثل قوله: ﴿صَنَّ اللَّهُ الَّذِي آتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل : 88]، وهو مصدر صدر من غير لفظه لأنه لما قال: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٣] عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ [يس : 3-4]، كأنه قال : نزل ذلك في كتابه تنزيلاً، فأخرج المصدر على المعنى المفهوم من الكلام" (7).

- 9 شهاب الدين الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 1، 1417هـ-1997م، ج 8 ص 5.
- 10 الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط: 1، 1420هـ-1999م، ج 22 ص 527.
- 11 ينظر: عبد التواب الفيومي، التوجيه النحوي للدلالي للقراءات القرآنية، المكتبة الأزهرية، القاهرة مصر، ط: 1، 1432هـ-2012م، ص 271.
- 12 الفارسي، الحجة للقراء السبعة ج 6 ص 36.
- 13 ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها ج 3 ص 1069.
- 14 ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن ص 243، ابن عجيبة، الدرر النائرة في توجيه القراءات المتواترة ص 325.
- 15 ابن زنجلة، حجة القراءات ص 596.

الثاني: أن يكون منصوباً على المفعولية بفعل مقدر: أعني، وهو اختيار الزمخشري⁽¹⁾، وهو نصب على المدح⁽²⁾.

والمعنى: أعني من قسمي قرآناً نزلته، وتلك العناية زيادة في التنويه بشأنه وهي تعادل حذف المسند إليه الذي في قراءة الرفع⁽³⁾. وأياً ما كان ففيه إظهار لفخامة القرآن الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة، وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة الكاملة والرحمة الفاضلة حث على الإيمان به ترهيباً وترغيباً وإشعاراً بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107].⁽⁴⁾

وصواب القول عند الطبري: أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، ومعنى الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأتاب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له⁽⁵⁾.

2.1 الفرق الثاني: قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: 32]؛ حيث قرأ قالون عن نافع لمك بالتخفيف، وقرأها حفص عن عاصم بالتشديد⁽⁶⁾.
تحمّل (إن) على قراءة التخفيف أن تكون:

• " مخففة من الثقيلة، ولمّا خففت بطل عملها لنقصها عن مشابهة الفعل، فارتفع ما بعدها بالابتداء"⁽⁷⁾، " والأفصح إهمالها عن العمل فيما بعدها، والأكثر أن يقترن خبر الاسم بعدها بلام تسمى اللام الفارقة لأنها تفرق بين (إن) المخففة من الثقيلة، وبين

16 الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت: أبو عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط: 1، 1427هـ-2006م، ج4 ص5.

17 السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: علي محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط: 1، 1414هـ-1994م، ج5 ص475، عبد القادر منصور، الشامل في القراءات العشر لغة وتفسيراً وأسراً، دار القلم العربي، حلب سوريا، ط: 2، 1430هـ-2009م، ص497.

18 ابن عاشور، التحرير والتنوير ج22 ص196.

19 الألوسي، روح المعاني ج22 ص527.

20 الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ت: محمود اكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط: 1، 1421هـ-2001م، ج22 ص176-177.

21 ينظر: الداني، التيسير في القراءات السبع، ص149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2 ص265.

22 ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن ص245.

(إن) النافية لثلاثا يلتبس بالخبر المؤكد بالخبر المنفي فيناقض مقصد المتكلم⁽¹⁾، وهو مذهب البصريين⁽²⁾.

• نافية، واللام بمعنى (إلا)، و (ما) زائدة، وهو مذهب الكوفيين⁽³⁾، والمعنى : إن كلُّ لجميع لدينا محضرون⁽⁴⁾.

واتفق جميع الموجهين⁽⁵⁾ أن (لَمَّا) بالتشديد بمعنى (إلا)، وأن (إن) بمعنى (ما)، وتقديره : وما كلُّ إلاَّ جميع. ونقل ابن النحاس عن الكسائي أنه لا يعرف ذلك⁽⁶⁾، لكنَّ سيبويه حكى ذلك فقال : " وسألت الخليل عن قولهم : أقسمت عليك إلاَّ فعلتَ ولمَّا فعلتَ "⁽⁷⁾. وذكر الفخر الرازي مناسبة وقوع (لَمَّا) موقع (إلاَّ) فقال : " (لَمَّا) كأنَّها حرفا نفي وهما : (لَمْ) و (ما) فتأكد النفي، ولهذا يقال في جواب من قال : قد فعل، لَمَّا يفعل، وفي جواب من قال : فعل، لم يفعل، وإلاَّ كأنَّها حرفا نفي (إن) و (لا) "⁽⁸⁾.

وهذا يجوز أن يكون أخذه من قول الفراء في (إلاَّ) في الاستثناء أنها مركبة (إن) و (لا)، إلاَّ أن الفراء جعل (إن) مخففة من الثقيلة وجعلها نافية، وهو قول ريك ردّه عليه النحويون⁽⁹⁾. وذهب الفراء⁽¹⁰⁾ إلى أن أصل (لَمَّا) (لَمِن) و (ما)، ثم حذفت إحدى الميمات لكثرتهم.

23 ينظر: النحاس، إعراب القرآن ج3 ص266، ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها ج3 ص1071.

24 نص عليه أبا حيان في البحر المحيط في التفسير ج9 ص63، ونقله عنه الأوسي في روح المعاني ج23 ص10.

25 المصدر نفسه ج9 ص63.

26 الفراء، معاني القرآن ج2 ص261، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ج4 ص215.

27 ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها ج3 ص1071، القيسي، مشكل إعراب القرآن ص559، ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن ص246، ابن زنجلة، حجة القراءات ص597، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ج4 ص215، النحاس، إعراب القرآن ج3 ص266.

28 إعراب القرآن ج3 ص266.

29 سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخالجي، القاهرة مصر، ج3 ص105.

30 الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ت: محي الدين الميس، دار الفكر، بيروت لبنان، 1415هـ-1995م، ج26 ص65-66.

31 السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج5 ص483.

32 معاني القرآن ج2 ص260.

والمعنى : أن كل القرون محضرون لدينا مجتمعين، أي ليس إحضارهم في أوقات مختلفة ولا في أمكنة متعددة، فكلمة (كل) أفادت أن الإحضار محيط بهم بحيث لا يتفقت فريق منهم، وكلمة (جميع) أفادت أنهم محضرون مجتمعين، فليست إحدى الكلمتين بمغنية عن ذكر الأخرى⁽¹⁾.
ف (جميع) مرفوع على الخبرية في قراءة تخفيف (لما)، وعلى الاستثناء على قراءة التشديد، و(محضرون) نعت ل (جميع) على القراءتين.

3.1 الفرق الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ۝٣٦ ﴾ [يس: 39] ؛ حيث قرأ قالون عن نافع بالضم والقمر، وقرأها حفص عن عاصم بالفتح والقمر⁽²⁾.
تخرج قراءة الرفع على وجهين:

الأول : أن يكون (القمر) مبتدأ و (قدرناه) هو الخبر، والهاء عائدة عليه وبها صلح الكلام⁽³⁾.

الثاني : أن يكون خبر لمبتدأ مقدر هو (آية)، قال أبو علي الفارسي : " الرفع على قوله : وآية لهم في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨ ﴾ [يس: 38] مثل قوله: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ ۝٣٧ ﴾ [يس: 37]، وكأنّ التقدير : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، وآية لهم القمر قدرناه منازل، فهو على هذا أشبه بالجمل التي قبلها"⁽⁴⁾.

ويصح أن يكون الرفع على العطف في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨ ﴾ [يس: 38] عطف المفردات، وهو رأي الألوسي⁽⁵⁾.

33 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج22 ص223.

34 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص540، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2 ص265، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص467.

35 ينظر: ابن خالويه، المحجة في القراءات السبع، ت: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط: 3، 1399هـ-1979م، ص297، المهدي، شرح الهداية، ت: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج2 ص486، الأزهرى، معاني القراءات، ت: د. عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي، ط: 1، 1414هـ-1993م، ج2 ص307، د. عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين، ج7 ص487.

36 الفارسي، المحجة للقراء السبعة، ج6 ص39-40.

37 ينظر: روح المعاني ج23 ص23، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج22 ص232.

واختار الفراء الرفع فقال: "الرفع فيه أعجب إليّ من النصب، لأنّه قال: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمْ أَلْيَلٌ نَسَلَحُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ ثمّ جعل الشمس والقمر متبعين لليل، وهما في مذهبه آيات مثله" (1).

ومن نصب فحجته على إضمار فعل، تقديره: وقدّرنا القمر قدرناه منازل (2)، ولا بد في ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿٣٨﴾ [يس: 38] من تقدير مضاف لأنّه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل (3)، أي: قدرنا سيره، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٣٩﴾ ظرف، أي منازل، وقيل: قدرنا نوره في منازل، فيزيد مقدار النور كل يوم في المنازل الاجتماعية ويزيد في المنازل الاستقبالية (4).

قررت قراءة الرفع أنّ الوضع الذي في القمر مختلف عما هو عليه في الشمس، فكلا منها آية بدلالة حرف الواو، أمّا قراءة النصب فدلّت على أنّ نور القمر يزيد كل يوم حتى إذا اكتمل شرع في النقصان. هذا ما أوحته قراءة النصب مما فيها من زيادة عناية بحالة القمر، والتي تخالف حالة الشمس، وهذا لا يتأتى في قراءة الرفع؛ مما يعطي قراءة النصب اهتماماً وعناية (5).

2. الفروق الصرفية

وهي الفروق التي تقوم على أساس اختلاف المستوى الصرفي في الاسم والفعل والتخفيف والتشديد وغير ذلك من مسائل علم الصرف، وهي كالتالي:

38 معاني القرآن ج2 ص262.

39 العكبري، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، ت: د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ج2 ص216.

40 الزمخشري، الكشاف ج3 ص15.

41 أبو حيان، البحر المحيط ج9 ص67.

42 عبد الغني وهدان، التوجيه اللغوي للقراءات السبع عن أبي علي الفارسي، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط: 1،

1430 هـ-2009 م، ص318.

1.2 الفرق الأول : قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴾ [يس : 41] ؛ حيث

قرأ قائلون عن نافع بالجمع ذرياتهم، وقرأها حفص عن عاصم بالإفراد ذريتهم.(1)

نخرج قراءة الجمع أنه لما كانت الذرية تقع للواحد، أتى بلفظ لا يقع للواحد، فجمع ليخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه لا يشركها فيه شيء وهو الجمع، لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة أعقابا بعد أعقاب لا يعلم عددهم إلا الله، فجمع لهذا المعنى(2).

وعلمه ابن أبي مريم بأن ذريات جمع ذرية، والذرية لا تخلو من أن تكون واحدة أو جمعا، فإن كانت واحدة فلا خلاف في حسن جمعها جوازها، وإن كانت ذرية جمعا، فن الجمع المكسرة ما جمع جمع سلامة نحو الطرقات وصواحبات يوسف(3).

والمعنى : آية لهم أننا حملنا ذريات البشر في سفينة نوح، وذلك حين أمر الله نوحا بأن يحمل فيها أهله والذين آمنوا من قومه لبقاء ذريات البشر، فكان ذلك حملا لذرياتهم ما تسلسلت(4).

أما من أفرد ولم يجمع، فلأن الذرية قد تقع على الواحد والجمع، كقوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : 38]، فهذا للواحد لأنه بشر يبي، والجمع كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء : 8](5).

واستشكل القرطبي معنى الآية فقال : " هي من أشكل ما في السورة ؛ لأنهم هم المحمولون، فقيل : المعنى (آية) لأهل مكة أننا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون، فالضميران مختلفان، وقيل الضميران جميعا لأهل مكة على أن يكون ذرياتهم أولادهم وضعفاءهم، فالفلك على القول الأول سفينة نوح، وعلى الثاني اسم للجنس(6).

43 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص 540، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 149، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 2 ص 265، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 467.

44 العكبري، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها ج 2 ص 483.

45 الموضح ج 2 ص 564.

46 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج 22 ص 237.

47 ابن زنجلة، حجة القراءات ص 600.

48 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان، دار الحديث القاهرة مصر،

ط : 2، 1416 هـ - 1996 م، ج 15 ص 37.

2.2 الفرق الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس: 68] ؛ حيث قرأ قالون عن نافع بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة نكَّسَهُ ويعقلون بالياء، وقرأها حفص عن عاصم بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها نكَّسَهُ وتعقلون بالتاء⁽¹⁾. رأى بعض من الموجهين بأنَّ القراءتين لغتان بمعنى واحد، ومال إليه المهدي⁽²⁾، والعكبري⁽³⁾، وابن زنجلة⁽⁴⁾.

قال الأزهري: "يقال: نَكَّسَهُ وَنَكَّسَتْهُ وَأَنْكَسَتْهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ"⁽⁵⁾.

لكن يوجد تفريق بينهما في المعنى الدلالي، فمن قرأ بالتشديد فمن الفعل (نكَّس) ، وهو على التكثر والترداد والتعدد، فنبتت القراءة على "تعدد وتكثر الرد من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة وأخيرا إلى الهرم"⁽⁶⁾.

وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده، وخلو من عقل وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة، إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته، ويعقل ويعلم ما له وما عليه، فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص، حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم، كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله⁽⁷⁾.

أما من قرأ بالتخفيف فمن الفعل (أنكَّس) المخفف أو (نكَّس) الثلاثي، والمعنى: ومن نطّل عمره زده من قوة الشباب ونضارته إلى ضعف الهرم ونحولته، وهو أرذل العمر الذي تحتل فيه قواه ويضعف إدراكه⁽⁸⁾.

- 49 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص 543، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 150، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 2 ص 266، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 469.
- 50 شرح الهداية ج 2 ص 487.
- 51 الكشف عن وجوه القراءات وعللها ج 2 ص 220.
- 52 حجة القراءات ص 603.
- 53 معاني القراءات ج 2 ص 311.
- 54 الدرر النائرة في توجيه القراءات المتواترة ص 329.
- 55 الزمخشري، الكشاف، ج 3 ص 21.
- 56 ينظر: عبد القادر منصور، الشامل في القراءات العشر، ص 505.

واختار ابن أبي مریم⁽¹⁾ وابن عجيبة⁽²⁾ قراءة التخفيف لأنّ نكست بالتخفيف أشهر في هذا المعنى من نكست بالتشديد، وعن أبي الحسن أنّ المستعمل في هذا المعنى هو الخفّف دون المشدّد، فإنّ المشدّد لا يستعمل إلاّ لما يقلب فيجعل أعلاه أسفله. وأنكر الأخفش التخفيف، ولم يعرف إلاّ التشديد، وقال: " لا يكادون يقولون نكسته إلاّ لما يقلب، فيجعل رأسه أسفل".⁽³⁾ واختار الطبري قراءة التشديد معللا اختياره ب: أنّ التي عليها عامة قراءة الكوفيين أعجب إليه، لأنّ التنكيس من الله في الخلق إنّما هو حال بعد حال، وشيء بعد شيء، فذلك تأييد للتشديد.⁽⁴⁾

3.2 الفرق الثالث: قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: 70]؛ حيث قرأ قالون عن نافع بالتاء لتُنذِرَ، وقرأها حفص عن عاصم لِيُنذِرَ.⁽⁵⁾ أفادت القراءة بالتاء أنّ الخطاب مقصود به النبي صلى الله عليه وسلم، أي: لتنذير يا محمد⁽⁶⁾، لأنّه المنذر حقيقة، وهذا ليبعث فيه الهمة والنشاط، ويطمئنه أنّ المذكر هو الحي وأنّ ما عليه إلاّ الإنذار. ويقوي التاء قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِمْقَادٍ ﴿٨﴾﴾ [العد: 08].

أما القراءة بالياء فإنّ الضمير يعود إلى القرآن، أي: لينذر القرآن من كان حيا، وهذا أظهر لتقدم ذكر القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تُعَجِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: 68]. وجوز ابن عجيبة إمكانية عودة الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أي: " لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تُعَجِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: 68]."⁽⁷⁾

57 الموضح ج3 ص1079.

58 الدرر النائرة ص329.

59 ينظر: مكي القيسي، الكشف ج2 ص220.

60 الطبري، جامع البيان، ج23 ص34.

61 ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص544، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص150، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2 ص266، البنا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص469.

62 الموضح ج3 ص1080.

63 الدرر النائرة ص329.

والأقرب على هذه القراءة عوده إلى القرآن الكريم فلا يحتاج إلى تعليل، أما عودته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي عودة إلى البعيد بالذكر، وما بين هذا وذاك استطراد وفاضل.

خاتمة

- لا غنى لدارس اللغة العربية صرفها ونحوها عن علم القراءات، ولا يستغني دارس علم القراءات القرآنية عن التبحر والاطلاع الواسع على علمي النحو والصرف بوجه خاص.
- إن الفروق النحوية والصرفية التي خلفتها قراءة قالون وحفص في سورة يس شملت بعض أبواب النحو والصرف، وقد خلقت ولا ريب أكثر من معنى في الآية الكريمة، إذ قد يتغير المعنى في كلا القراءتين وقد يكون قليلا ويضيف معنى آخر بحسب نوع الفرق، إلا أنه لا يوجد تناقض بأي شكل أو لون لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْتَلَفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82].
- يرجع معظم الخلاف بين الروایتين في سورة يس فيما يلي:
 - الاختلاف في الإعراب، فتغير العلامة الإعرابية لكلمة (تنزيل) من الضمة إلى الفتحة أدى إلى تغير الحالة الإعرابية من الرفع إلى النصب وتغير التوجيه النحوي مما أثر في اللفظ، فقراءة النصب أخف وأثر في المعنى حيث إن قراءة الرفع أقوى.
 - الاختلاف بين التشديد والتخفيف في (لم)، ونتج عنه تغاير في الإعراب فذهب البصريين على أن (إن) مخففة من الثقيلة وبالتالي بطل عملها واقترب اسمها باللام الفارقة، ومذهب الكوفيين أن تكون نافية بمعنى (إلا) و(ما) زائدة، والمعنى على المذهبين واحد.
 - الاختلاف بوضع حركة مكان أخرى في كلمة (القمر)، وترتب عنه تغيير في الحالة الإعرابية من الرفع إلى النصب، وأدى إلى زيادة في المعنى إذ أوحى قراءة النصب إلى مزيد عناية بحال القمر التي تخالف الشمس، بينما قراءة الرفع أفادت أن كلا من القمر والشمس آية.
 - الاختلاف بين الإفراد والجمع في كلمة (ذرية)، فمن جمع أراد ذريات جنسهم أو نوعهم، ومن أفرد فقد تقع الذرية على الواحد والجمع.
 - الاختلاف بين التخفيف والتشديد في كلمة (نكسه)، فقد جمعت القراءتين بين صيغتين صرفيتين (فعل أو أفعل) و(فعل) وساهم ذلك في إثراء المعنى التفسيري، وهو أن قراءة التشديد تدل على التكثير والتعدد ولا تدل عليه قراءة التخفيف.

References

- [1] Al-Qur'ān al-Karīm bi-riwāyat Warsh 'an Nāfi'.
- [2] Ibn Mujāhid. Aḥmad ibn Mūsā. Kitāb al-sab'ah fī al-qirā'āt. t : D. Shawqī Dayf. Dār al-Ma'ārif. Al-Qāhirah Miṣr. Ṭ : 03.
- [3] Ibn Abī Maryam. Naṣr ibn 'Alī. (1414h-1993m). Al-Kitāb al-Mūdiḥ fī Wujūh al-qirā'āt wa-'ilalihā. t : D. 'Umar Ḥamdān al-Kubaysī. Dār al-taw'iyah al-Islāmīyah. Al-Qāhirah Miṣr. Ṭ : 1.
- [4] Al-Azharī. Muḥammad ibn Aḥmad. (1414h-1993m). ma'ānī al-qirā'āt. t : D. 'Id Muṣṭafā Darwīsh w'wḍ ibn Ḥamad al-Qawzī. Ṭ : 1.
- [5] Al-Alūsī. Maḥmūd ibn 'Abd Allāh. (1420h-1999m). Rūḥ al-ma'ānī fī tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa-al-Sab' al-mathānī. t : Muḥammad Aḥmad al'md wa-'Umar 'Abd al-Salām al-Sallāmī. Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [6] Ibn al-Anbārī. 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. Al-Bayān fī i'rāb Gharīb al-Qur'ān. t : Barakāt Yūsuf hbwd. Dār al-Arqam.
- [7] Al-Bannā al-Dimyāṭī. Aḥmad ibn Muḥammad. (1422h-2001m). Ithāf Fuḍalā' al-bashar fī al-qirā'āt al-arba'ah 'ashar. t : Anas Muhrah. Dār al-Kutub al-'Ilmīyah. Bayrūt Lubnān.
- [8] Ibn al-Jazarī. Muḥammad ibn Muḥammad. (1423h-2002m). Al-Nashr fī al-qirā'āt al-'ashr. t : Zakarīyā 'Umayrāt. Dār al-Kutub al-'Ilmīyah. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 02.
- [9] Ibn Khālawayh. Al-Ḥusayn ibn Aḥmad. (1399h-1979m). Al-Ḥujjah fī al-qirā'āt al-sab'. t : D. 'Abd al-'Āl Sālim Mukarram. Dār al-Shurūq. Ṭ : 3.
- [10] Al-Dānī. 'Uthmān ibn Sa'īd. (1416h-1996m) al-Taysīr fī al-qirā'āt al-sab'. t : awtwyrtzl. Dār al-Kutub al-'Ilmīyah. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 01.
- [11] Al-Rāzī. Muḥammad ibn 'Umar. (1415h-1995m). Al-tafsīr al-kabīr wa-mafātīḥ al-ghayb. t : Muḥyī al-Dīn al-Mays. Dār al-Fikr. Bayrūt Lubnān.
- [12] Al-Zajjāj. Ibrāhīm ibn Muḥammad. (1424h-2004m). ma'ānī al-Qur'ān wa-i'rābuh. t : D. 'Abd al-Jalīl 'Abduh Shalabī. Dār al-ḥadīth al-Qāhirah Miṣr.
- [13] Al-Zamakhsharī. Maḥmūd ibn 'Umar. (1427h-2006). alkshshāf 'an ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl wa-'uyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta'wīl. t : Abū 'Abd Allāh al-Dānī. Dār al-Kitāb al-'Arabī. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [14] Sa'īd 'Alī al-Sharīf. ikhtilāf al-qirā'ah bayna Qālūn wa-Ḥafṣ wa-tawjīhuhā.
- [15] Al-Samīn al-Ḥalabī. Aḥmad ibn Yūsuf. (1414h-1994m). Al-Durr al-maṣūn fī 'ulūm al-Kitāb al-maknūn. t : 'Alī Muḥammad 'Awaḍ wa-ākharūn. Dār al-Kutub al-'Ilmīyah. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [16] Sibawayh. 'Amr ibn 'Uthmān. Al-Kitāb. t : 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. Maktabat al-Khānjī. Al-Qāhirah Miṣr.

- [17] Shihāb al-Dīn al-Khafājī. Aḥmad ibn Muḥammad. (1417h-1997m). Ḥāshiyat al-Shihāb ‘alā tafsīr al-Baydāwī. t : ‘Abd al-Razzāq al-Mahdī. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [18] Al-Ṭāhir ibn ‘Āshūr. Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad. (1420h-2000m). Al-Taḥrīr wa-al-tanwīr. Mu’assasat al-tārīkh. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [19] Al-Ṭabarī. Muḥammad ibn Jarīr. (1421h-2001m). Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl al-Qur’ān. t : Maḥmūd Bakr. Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [20] ‘Abd al-Tawwāb al-Fayyūmī. (1432h-2012m). Al-Tawjīh al-Naḥwī al-dalālī lil-qirā’āt al-Qur’ānīyah. Al-Maktabah al-Azharīyah. Al-Qāhirah Miṣr. Ṭ : 1.
- [21] ‘Abd al-Ghanī Wahdān. (1430h-2009m). Al-Tawjīh al-lughawī lil-qirā’āt al-sab‘ ‘an Abī ‘Alī al-Fārisī. Maktabat al-Ādāb. Al-Qāhirah Miṣr. Ṭ : 1.
- [22] ‘Abd al-Qādir Maṣṣūr. (1430h-2009m). Al-shāmil fī al-qirā’āt al-‘ashr Lughat wa-tafsīran wa-asrār. Dār al-Qalam al-‘Arabī. Ḥalab Sūriyā. Ṭ : 2.
- [23] ‘Abd al-Laṭīf al-Khaṭīb. Mu‘jam al-qirā’āt. Dār Sa‘d al-Dīn.
- [24] Ibn ‘Ajībah. Aḥmad ibn Muḥammad. (1434h-2013m). Al-Durar al-nāthirah fī tawjīh al-qirā’āt al-mutawātirah. t : ‘Abd al-Salām al-‘Umrānī. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [25] Al-‘Ukbarī. ‘Abd Allāh ibn al-Ḥusayn. (1421h-2001m). Al-Tibyān fī i’rāb al-Qur’ān. t : Maktab al-Buḥūth wa-al-Dirāsāt. Dār al-Fikr. Bayrūt Lubnān.
- [26] Al-‘Ukbarī. ‘Abd Allāh ibn al-Ḥusayn. Al-kashf ‘an Wujūh al-qirā’āt wa-‘ilaliḥā whjjhā. t : D. Muḥyī al-Dīn Ramaḍān. Mu’assasat al-Risālah. Bayrūt Lubnān.
- [27] Al-Fārisī. Al-Ḥasan ibn Aḥmad. (1413h-1993m). Al-Ḥujjah lil-qurrā’ al-sab‘ah. t : Badr al-Dīn Qahwājī wa-Bashīr jwjjāty. Dār al-Ma’mūn. Dimashq Sūriyā. Ṭ : 1.
- [28] Al-Farrā’. Yaḥyá ibn Ziyād. (1423h-2002m). ma‘ānī al-Qur’ān. t : Ibrāhīm Shams al-Dīn. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah. Bayrūt Lubnān. Ṭ : 1.
- [29] Al-Qurṭubī. (1416h-1996m). Al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān. t : D. Muḥammad Ibrāhīm al-Ḥifnāwī Wad. Maḥmūd Ḥāmid ‘Uthmān. Dār al-ḥadīth al-Qāhirah Miṣr. Ṭ : 2.
- [30] Al-Qaysī. Makkī ibn Abī Ṭālib. (1423h-2002m). mushkil l’rāb al-Qur’ān. t : Yāsīn Muḥammad al-nwās. Dār al-Yamāmah. Dimashq Sūriyā. Ṭ : 3.
- [31] Al-Mahdawī. Aḥmad ibn ‘Ammār. sharḥ al-Hidāyah. t : D. Ḥāzim Sa‘īd Ḥaydar. Maktabat al-Rushd. Al-Riyāḍ. Al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah.